پول پانليفه

Paul Painlevé

كتب العالم البريطاني توماس جرينوود في مجلة نايتشر قال : لما ذهبت الى لقاء المسيو پانليفه قبيل وفاته كان منهمكاً في إعداد الجزء الثاني من محاضراته المشهورة في «ميكانيكية السوائل» التي القاها حديثاً في السوربون ، فرأيت «الرئيس» (كما يدعوه اصدقاؤه) وهو في شفق حياته ، مشغولاً بالمباحث التي شغفته ، قبلما لبّى نداء الوطن وخاض ميادين الخدمة العامة . وكان حينئذٍ ناقهاً من علة اصابته وأقعدته عن العمل والدرس ، وكان يأمل ان يتاح له اعداد خطبته الافتتاحية ليتلوها في « معهد الفنون والصنائع » الذي دعي باسمه ، اعترافاً بفضله ونبوغه . ولكن القدر لم يمهله ، فوضع نعشهُ في ردهة ذلك المعهد ، قبل حمله الى البانثيون (مقر رفات الفرنسيين العظماء). ففرنسا خسرت بوفاته ابناً من أكرم ابنائها ، والعالم رياضيًا وسياسيًا من اعظم رياضييه وساسته

***

قلما يتاح لرجل من المشتغلين بالشؤون العامة ان يجمع بين المكانة العلمية والمقام السياسي في أعلى مراتبهما . ولكن المسيو پانليفه كان من هؤلاء

ولد في باريس سنة ١٨٦٣ وتلقى العلم في دار المعلمين العليا (الايكول نورمال سوپيريور) واحرز لقب دكتور في علوم الرياضة ثم اثبت بمباحثه انهُ رياضي من الطبقة الاولى ، فعين استاذاً في السوربون وانتخب عضواً في مجمع العلوم

ومنذ ما قامت في فرنسا قضية دريفوس الشهيرة بدأ يوجه عنايتهُ الى السياسة ، ففي سنة ١٩٠٦ انتخب نائباً اشتراكيًا مستقلاً عن باريس ، ووجه عناية خاصة الى شؤون الجيش والاسطول والسلاح الجوي . ولكنهُ لم يشغل منصباً سياسيًا كبيراً قبل الحرب الكبرى . وفي سنة ١٩١٥ الف بريان وزارة واختار پانليفه ليكون وزير المعارف فيها . ولكنهُ اختلف مع رئيسه في طريقة مواصلة الحرب . فلما اعاد بريان تأليف وزارته هذه في ديسمبر سنة ١٩١٦ خرج پانليفه منها

وفي مارس سنة ١٩١٧ الف الوزير ريبو وزارته واختار پانليفه لوزارة الحربية ، فاقدم في الحال على تعيين الجنرال پتان قائداً عامًا لجيش الفرنسي بدلاً من الجنرال نيفل . فلما استقال

ريبو دعي بانليفه لتأليف الوزارة الجديدة وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩١٧ . وكان يود أن يشرك الاشتراكيين معه في هذه الوزارة ولكنهم تشددوا وغالوا في مطالبهم ، فتألف الوزارة من دونهم ، واستبقى لنفسه منصب وزير الحربية علاوة على الرآسة . وفي اكتوبر بعد تأليف الوزارة بشهر واحد ، أحسَّ بعد اقتراع تمَّ في المجلس ، ان الاكثرية الموالية له ليست بكافية للسير بشؤون الدولة باستقلال ، وأعاد تأليف الوزارة فاخرج منها ريبو وضمَّ بارتو وزيراً للشؤون الخارجية . فلما مني الايطاليون بعد ذلك بهزيمتهم الشنيعة في كابوريتو اسرع الى رابلو فاجتمع هناك بلويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، وأورلندو رئيس وزراء ايطاليا ، فاسفرت محادثاتهم عن انشاء مجلس الحلفاء الاعلى في فرساي، واختير الجنرال فوش ، ليكون الممثل الفرنسي الاول في هذا المجلس . وفي ١٣ نوفمبر رفض مجلس النواب الفرنسي تأجيل البحث في مسألة الدعاية الى وقف الحرب Defeatism (وهي المسألة التي حوكم فيها الوزير السابق جوزف كايو وحكم عليه) فاستقال بانليفه ودعي كليمنصو الى تأليف الوزارة التي حاكمت كايو ، وسارت بفرنسا الى النصر العظيم

●●●

وقضى بانليفه بعد ذلك بضع سنوات بعيداً عن ميدان السياسة الفعالة ، ولكنه عاد فألف مع هريو كتلة من احزاب اليسار، ففازت هذه الكتلة في انتخاب ١١ مايو سنة ١٩٢٤ فألف هريو الوزارة وانتخب بانليفه رئيساً لمجلس النواب . ولكن الاحزاب المتطرفة اضربت عن تقلد المناصب الوزارية الاَّ اذا ذهب بليران — وهو رئيس الجمهورية — من منصة الرآسة فذهب . ويقال ان بانليفه حاول حينئذٍ ان ينتخب مكانه رئيساً للجمهورية فاخفق في سعيه . وانتخب المسيو جاستون دومرج

فلما سقطت وزارة هريو سنة ١٩٢٥ للاختلاف على بعض المسائل المالية ، خلفه بانليفه في الرآسة وأخذ على عاتقه وزارة الحربية ، وأقدم على عمل جريء اذ ضمَّ اليه الوزير السابق، المحكوم عليه ، جوزيف كايو ، وزيراً للمالية

في تلك السنة اشتدَّت الحال في مراكش على اثر الحرب التي شنَّها الامير عبد الكريم ، فطار اليها ، للنظر في الحالة ، وعاد فعين المارشال پتان لكي ينظم قوى المقاومة والهجوم على الامير عبد الكريم وجنوده. وفي يوليو من تلك السنة ثبت له انه لا يستطيع ان يستمر في الحكم من غير تأييد بعض فرق المعارضة، لان الاشتراكيين رفضوا ان يؤيدوا كايو في خطته المالية. وفي ٢١ نوفمبر تحوَّلت اكثريته الى اقلية فاستقال

خلفه بريان في رآسة الوزارة . واشترك هو مع بريان وزيراً للحربية . وكذلك شغل هذا المنصب نفسه في وزارتي بوانكاره اللتين طالتا من يوليو سنة ١٩٢٦ الى نوفمبر سنة ١٩٢٨

وقد انتخب پانليفه في حياته عضواً في مجامع العلوم في فرنسا وبولونا (ايطالي) واستوكهلم (السويد) وروما ومن مؤلفاته «دروس في الفرك» ودروس في «تحليل معادلات لاختلاف» وهو فرع من الرياضة العالية

***

كان شغف پانليفه بالرياضة اساساً لنظرته الفلسفية الى الطبيعة . وفي رسالته « اوليات الميكانيكا » عرض لبحث مبادىء الميكانيكيات القديمة، وفكرة العلة والمعلول ؛ واصول النسبية، وانتقال الضوء . وقد كان في البدء حذراً في الايمان بنظرية اينشتين ، بل انهُ وجَّه اليها في مجمع العلوم الفرنسي نقداً محكماً . فلما اقيمت مناظرة عامة في السوربون سنة ١٩٢٠ في موضوع النسبية ، اذهل پانليفه الحضور ، بكثرة الاحتمالات التي عرضها لتحلَّ محلَّ « اوليات اينشتين » . وكان اليوم مطيرا فلما خرج الجمع المحتشد ، مشى الاستاذ لانجفان — وهو مناظر پانليفه — مع جرينوود فقال لانجفان ، اني واثق بان پانليفه ، يغير رأيه بعد عشاء شهي . فلما ترجم جرينوود محاضرات ادنغتن في النسبية سنة (١٩٢٣) كتب له پانليفه مقدمة اعترف بها بالفائدة العظيمة الجليلة التي تجنى من «الصورة الكونية الجديدة» المبنية على نظرية النسبية . ومما لا يُرتاب فيه ان نقد پانليفه لنظرية النسبية ، كان من البواعث الفعالة على استكمال تناسقها ، وتصحيح بعض تفصيلاتها ، وتوضيح مقتضياتها الفلسفية

كان پانليفه قصير القامة ، طيب القلب ، تحمل اساريره آثار العناء العقلي الذي يكابده في اشغاله العقلية واعماله الادارية . فقد كانت حياتهُ ، حياة بساطة وجهاد . وكان يتشدَّد في انجاز كل اعماله بنفسه . وهذا لا يتاح لانسان الاَّ اذا كان نادراً في قدرته على جمع افكاره وتوجيهها الى الموضوع الذي يريده . وقد ذكر جرينوود انهُ كان في مكتبه يوماً يناقشه في موضوع الانتخابات وإذا جرس التلفون يقرع ، وكان مخاطبهُ زميلاً في السوربون ، يستوضحهُ في مسألة علمية ، فأفاض پانليفه في بسط علاقتها بالمعادلات التفاضلية في حساب التمام والتفاضل فلما انتهى التفت لرأيه معتذراً ، واستأنف البحث في الانتخابات

ومن عجائب العقل الانساني ، ان يشتهر هذا الرجل بشرود الذهن كذلك . فيروى عنهُ انه كان يخرج احياناً من مجلس النواب ، فيستقل سيارة أجرة الى داره ، وسيارتهُ الخاصة تنتظر . ويقال انهُ كان احياناً يذكر رقم تيفونه لسائق سيارة ، اذا سأله عن عنوانه ، بل اغرب من ذلك انهُ خرج من داره يوماً ، وكان ينتظر صديقاً . فكتب كلمة مؤداها « پانليفه يعود حالاً » وعلقها بالباب . ثم عاد قبل مجيء صديقه ، فرأى الورقة معلقة ، فوقف پانليفه ينتظر عودة پانليفه !

دنلوب بركات

١